وحتى كفاه وتحدث بنعمة الله عليه فاذا قال الذهبي في تاريخه عن بعض
اكابر التابعين من ائمته الغالي الريا اقرب الى قصد الزجر من ضعفاء المغلوب و
القاصرين في المراتب غرابة المواهب والعجب وتقدم الكلام فيه حتى هلك مع
الهالكين بسبب زيادة هذه الجنايات وسبب حصولها او حصول بعضها والهلاك
قد يراد به العذاب واعلم ان هذه الخصال الثلاث ثلاث كما شاهد بعد الكبر
والعجب مع خصلة واحدة لما بينهما من التلازم والتقارب فيوافق قوله
في مبدأ الكلام على معاصي القلب من امهات جنايات القلب ذكر هذه
الفائدة مع تنويعها في كلامه للتأكيد ومزيد التحذير وليرتب عليها قوله
فلها اي الامهات او الجنايات مغرس واحد بفتح الراء لانه القياس وجواز
الكسر واكد المغرس بواحد لزيادة التنفير عن الدنيا وهو حب الدنيا الذميم والذميمة
لان حبها كهي على قسمين احدهما ما صرفها في وجوه الخير غير مذموم لا شرعا ولا عقلا
واما هي نفسها مذمومة لذاتها فلها جهتان جهة ذم وعيب والمنهي عنه في
كلامهم وفي الاثار والاخبار هو حبها الذميم وهو من جهة ذمها ومن الاخبار
وان علق بعضهم من الاثار ما ذكره المصنف في قوله قال ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم كما رواه الحسن مرسلا واخرجه البيهقي وابن ابي الدنيا حب الدنيا
رأس كل خطيئة وهذا الحديث وقول المصنف ولها مغرس واحد يبين
لك ان المدار في جلب المصالح و~~المفاسد~~ ودرء المفاسد وصلاح الباطن
والظاهر والتخلقات وجماع الامتثال للمأمورات والاجتناب للمنهيات
ترك حب الدنيا الذميمة واطلق النهي عن حبها ولم يقيده لوضوحه وسدا
للباب على الضعفاء لئلا ينسب احدهم في التعلق بها ويعتذر عن التمسك
بحبل حبها بانه احبها لصرفها في وجوه الخير ولو صدق لم يكن عليه ملام لكنه ابن
الصادق وانقطع الكلام ولما قلنا افرد بعض الصوفية الكلام في الدنيا بتاليف
وجعل ما تحته رأسه وحاصل الكلام على هذا الحديث وما يتعلق به وقد علمت ان
البداية به دليل على ذلك وقرب منه وهنا في التنبيه لذلك على سلوك المنهاج في
النهاية واذا كان الحديث المذكور فيه ما اسلفته فلا يبعد ان يكون فيه بالطريق
المذكور التفات الى مصداق قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم وانه
منها ان لم يكن احبها ثم من حب الدنيا الذميمة حب الرياسة لانها من اللذات
الخيالية لاجل دفع القهر والغلبة واخر شيء يخرج من قلوب الصديقين حبها
قيل واذا كان بحق فلها افات ومن ثم عد الخمول نعمة لانه يسلم من سياسة
الريا والفرق بين صاحب الدعوى الى الله تعالى وصاحب الرياسة ان صاحب
الدعوى امره ونحيته لقصد تعظيم الله تعالى بخلاف صاحب الرياسة لقصده ان يكون
في الاعين جليلا وفي القلوب مهيبا وعند الناس حبيبا ولهم اماما ومن
حب الدنيا حب الجاه وهو يرجع الى الرياسة وان افردها بالذكر تنويعا بانه

واهتماما

واهتماما بأمره قيل وفي تعريف حبه طلب الترفع بها على اهلها وفيه لجاجة
وحصول كلامهم الواسع فيه انه محمود ومذموم فالاول هو ما سلم من افات الدنيا
بها احبه محمود ايضا ومن حب الدنيا الحمية حمية الجاهلية وهي حب المراغمة
على ما يميل اليه الملل والتصدي عن الحق ومن ثم ذم المشركون في قوله تعالى
الحمية ~~الحمية تعالى~~ لصدهم عن البيت الحرام واصلها حرارة تهيج من قبل
النفس الامارة بخلاف الحمية الحمية لله تعالى فانها حرارة تهيج من قبل النفس
المطمئنة قهرها لعظمة الامر والامتثال اشرق على قلبه نور سلطانه ومن ثم
ورد كان اذا غضب احمرت وجنتاه ويبدو بين عينيه عرق يدره الغضب
حتى ينتقم الله تعالى وورد عن موسى الكليم كان اذا غضب
اشتعلت قلنسوته نارا ولما اسلفته من بيان الحمد الدنيا بطريق الاشارة التي
لا ذم فيها بل فيها المدح الصريح اشار بقوله ومع هذا الدنيا اي دارها
وهي باعتباره مزرعة للدار الاخرة واعمالها ومن اخذ تناول او كسب من
الدنيا اي اموالها وحطامها ولفظ الدنيا للاطلاقات بالاعتبارات افرده بعض
المشايخ برسالة في ورقات بقدر الضرورة بمعنى الحاجة بدليل قوله
ليستعين به بالقدر المأخوذ على الاخرة اي على التزود لها لان المسافر لا بد
له من زاد ~~و~~ وسفر الاخرة هو السفر والمال عند ابن معاد و لهوى او غرض وكلا
اعظم من مرض القلوب وغرض الاخرة فصرف المقدار فيها من اجل غرض فمن
اخذ منها لذلك فلا ملام عليه بالارتياب فالدنيا مزرعته اي الاخلاق او مزرعة
الاخرة المأخوذ عليه وكان القياس والاوضح من زرعتها لكن عدل عنه لنكتة
لا يخفى على ملتقطها النبيه وغرض المسألة فيها هو من الدنيا قدر الضرورة وفيما
غيره فما هو اعم فيه قال ان طلب الدنيا للاخرة اي ولو بما زاد على قدر الضرورة
فلا باس للمتكلمين به لان جمعا من الصحابة رضي الله عنهم كعبد الرحمن بن عوف
وعثمان رضي الله عنهما طلبوها لمقاصد اخروية حتى قال تعالى منكم من يريد
الدنيا ومنكم من يريد الاخرة كذا قيل وان كان فيه بحث ومن اراد الدنيا
بمعنى حطامها ليتنعم بها على فرض انه يجد التنعم بعد تحصيلها عن نصب
وتعب فان الدنيا مهلكة محل هلاكها وعذابها العاجل فان ضممت الميم
وكسرت اللام كان المعنى كالمباشرة لهلاكه ولم لا وصفاؤها كدر واهلها
منها على حذر كما قيل هي الدنيا تقول لملاقيها حذار حذار من بطشي
وفتكي فلا يغرنكم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي وفي قوله ليتنعم
اشارة الى ان مرادها لا لذاكك فليس الكلام فيه كقولهم ملكة مانعة قلوبهم
والمتعلق بها التعلق المذموم استوى الوجود والفقد وقوم تقودوا الصبر حتى
صار الفقر رأس مالهم حتى قيل فيهم واذا افتقروا عضوا على الفقر منه
وان ايسروا عادوا واسرعوا الى الفقر فهؤلاء كلهم اذا طلبوها الصرفوها في وجوه

وليوافق

الكثير

ودعا

مهيبا

لعله ويبرد

لعله مدح

نعا

اي الاحد

للتكليف

Copyright © King Saud University